AFKĀR *Journal of Islamic & Religious Studies*
Volume 6, Issue 2, June 2022, PP: 65-76
E-ISSN 2616-8588; P-ISSN 2616-9223
www.afkar.com.pk; hjrs.hec.gov.pk

آلام الحب من كتب الرافعي

Heartaches of Love from Books of Al-Rafi

Farooq Ahmad Saeedi [1], Hafiz Muhammad Akram Al-Azhari [2]
[1] Doctoral Candidate, [2] Assistant Professor
Department of Arabic, The Islamia University Bahawalpur, Pakistan

ABSTRACT

What is love? Love is a feeling. Love is passion. Love is hope. Love is a process. Love is a style. Love is a trial. Love is an exam. Love is a pious relationship. Love is the code of life. Moreover, love is life, love is worship. Love is a true emotion through which man can recognize his creator. Love is a spiritual condition from which a person finds a kind of peace and satisfaction in his life. Love is such a great gift of Allah Almighty that He bestows on His special servants. Love is a refreshing feeling that breathes a new spirit into human life. Where there is happiness in love, there is also a kind of sorrow and pain. This pain and suffering is the test of a person to see how true and genuine a person is in his love. This pain is greater than all the pleasures and comforts of a true lover. The pain and suffering of love give human life a correct direction and path. The famous writer of Egypt, Mustafa Sadiq al-Rafi, expresses the same ideas in his books on the philosophy of love. An attempt has been made to collect his same thoughts in this article.

Keywords: *Philosophy of Love, Passion, Mustafa Sadiq al-Rafi, Egypt.*

*Corresponding author's email: Farooq.ahmed.iub86@gmail.com

CC BY

مصطفىٰ صادق الرافعي أحد أعلام اللغة العربية الحديثة و صنف عدة كتب في الأدب العربي في الشعر و الأدب و التاريخ و البلاغة و أحاط جميع الموضوعات الفني و الأدبي و الإسلامي و من خلال دراسة أدبه تظهر جودة فكره و بلاغة لسانه و تأثير بيانه و كتبه "رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب"و"حديث القمر"و"السحاب الآحمر" و آوراق الورد" كتب شاملة لمباحث الحب و الجمال و جامع رسائل التى كتبها الرافعي لحل مباحث الحب و الجمال و بين فيها فلسفة الحزن و السرور و الحب و البغض بالفلسفة الكاملة و في هذه الكتب برع الرافعي أيضاً عن فلسفة الآلام الحب و شدائده تحمل في طياتها إبداعاً يجمع فيه كيفيات الآلام المحب في أثواب الأدب العربي و يرتقي به الإنسان إلى معارج العليا فيكسبه ملحماً دينياً قدسياً و هو بهذه الرسائل يحدث انقلاباً على المعاني التقليدية التى عهدت عن فلسفة الآلام لأنه يصنف رسائله في صورة يكون فيها محبا و فيلسوفا متأملا في الآلام التي أعطاه الله تعالىٰ لحبه و معرفته و لقائه و من خلال المبحث ستناول مدى فلسفة الآلام عند الرافعي في ضوء كتبه "رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب" و"حديث القمر"و"السحاب الآحمر" و أوراق الورد" و هو أديب مصري من الطبقة الأولى في مصر و عالم العرب.

ولادته:

و لد مصطفىٰ صادق الرافعي في الأول من شهر يناير سنة ١٨٨٠م الموافق ١٢٩٨هـ على ضفاف النيل في بهتيم قرية من قرى القليوبية في مصر و قيل ١٨٨١م أو ١٨٨٢م. فحفظ القرآن الكريم و جوده و هو دون العاشرة و التحق بالمدرسة الابتدائية في دمنهور ثم أتم دراسته الابتدائية من المدرسة المنصورة الأميرية و عمره سبع عشرة عاما.

و ترک الدراسة العليا بعد ما أصابه مرض شديد ألقاه على سرير الشفاء عدة شهور.

حياته بعدالمرض:

قد ذكر فيما قبل أن نشأة الرافعي في بيت علمي و أدبي و إن كان المرض أفقده السمع لكن بإرادته القوية و فكره اللامع المميز لتحصيل العلم و الأدب أقبل على مكتبته القيمة المملؤة بالكتب الدينية و الأدبية و على مجلس أبيه المعمور بالعلماء والأدباء هذان المصدران استسقى الرافعي علماً و أدباً و كان شديد الإقبال على القراءة والكتابة حيث كان يقرء كل يوم ٨ ساعات.

و لم يكتف بما حصل عن أبيه بل عكف على مكتبته الزاخرة القيمة و عب من نهرها المتدفق ما وسعه و كذلک على مكتبة الشيخ القصبي و مكتبة الجامع الأحمدي في طنطا و كانت له جولات مع كتب الحديث و الأدب شعراً و نثراً حتى لقد حفظ نهج البلاغة و هو دون العشرين و حفظه في القطار بين طنطا و طلخا ذاهبا إلى وظيفته و آيباً منها.

و استهل الرافعي حياته العملية بالكتابة في محكمة طلخا الشرعية سنة ١٨٩٩م و انتقل بعد ذلک إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية ثم في محكمة طنطا الأهلية و لسعة اطلاعه باللغة انتخب عضواً للمجمع العلمي بدمشق و صدر ديوانه الأول في سنة ١٩٠٣م و قدم له بمقدمة مدهشة.

وفاته:

وقد توفي مصطفىٰ صادق الرافعي في صباح يوم الإثنين ١٠ مايو عام ١٩٣٧م و دفن في اليوم نفسه بعد صلاة الظهر في جوار أبويه بطنطا.[1]

تاليفاته:

قد صنف الرافعي عدة كتب في موضوعات مختلفة منها:

(١) تاريخ آداب العرب(٢) تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم و الجديد (٣) على السفود (٤) وحي القلم (٥) حديث القمر (٦) رسائل الأحزان(٧) السحاب الأحمر (٨) أوراق الورد رسائله و رسائلها(٩) كتاب المساكين(١٠) الإسلام انطلاق لا جمود (١١) الإسلام دين المدينة القادمة (١٢) الإسلام نظام إنساني (١٣) إسلامنا في التوفيق بين السنة و الشيعة (١٤) الإسلام و مشكلات العصر و غيرها من الكتب الأدبية القيمة.

و من خلال هذا المبحث أولاً سنتحدث معنى الحب أولا و ثانيا معاني الحب و الامه عند الرافعي من كتبه المكتوبة في هذا الباب مثل حديث القمر و رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب و السحاب الأحمر و أوراق الورد و غيرها.

الأول: معاني الحب في اللغة

يذكر في خلال هذا المبحث معاني الحب في ضوء اللغة العربية:

الحب و المحبة اسمان للكيفية القلبية و العواطف اللطيفة و هو ضد البغض عند أئمة اللغة كما يذكر الجوهري في الصحاح: "والحب المحبة و كذلك الحب بالكسر و الحب أيضا الحبيب مثل خدن و خدين يقال أحبه فهو محب و حبه يحبه بالكسر فهو محبوب." [ii]

الحب بالضم و الحب بالكسر و المحبة أيضا بمعنى واحد في اللغة عند الجوهري.

و أيضا يقول هذا القول ابن منظور الإفريقي:

و الحب الوداد و المحبة و كذلك الحب بالكسر. [iii]

و قال ابن فارس القزويني:

فالحب و المحبة اشتقاقه من أحبه إذا لزمه كما قال الشاعر:

جبت نساء العالمين بالسبب فهن بعد كلهن كالمحب[iv]

و في أساس البلاغة:

أحببته و هو حبيب إليّ و أحبب إليّ بفلان و حبب الله إليه الإيمان و حببه إليّ إحسانه و هو يتحبب إلى الناس و هو محبب إليهم متحبب و فلان يحاب فلانا و يصادقه و هما يتحابان.[v]

و قال الزبيدي:

و المحبة و الحباب بالضم.

و استدل بشعر أبي عطاء السندي:

فو الله ما أدري و إني لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر[vi]

اذا كان المحبة من أحب فالاسم الفاعل منه محب لكن يذكر في الكتب محب و محبوب أيضا فالمحبوب اشتق منه على خلاف القياس كما يذكر في كتب اللغة:

و أحبه فهو محب و هو محبوب على غير قياس هذا الأكثر و قد قيل محب على القياس.

قال الأزهري: و قد جاء المحب شاذا في الشعر. [vii]

قال عنترة:

و لقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم[viii]

استدل الأزهري على شذوذ استعمال المحب في الأدب العربي من شعر عنترة فالمحب في هذا الشعر من أحب يحب فهو محب و لكن في الأدب يستعمل محبوب على الأكثر فالمحبوب مستعمل على الأكثر و المحب شاذ.

أول مراتب الحب الهوى. ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب. ثم الكلف وهو شدة الحب. ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب. ثم الشعف وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها. وكذلك اللوعة واللاعج فإن تلك حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق. ثم الشغف وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه وقد قرئتا جميعا: {شغفها حبا} 1 وشغفها. ثم الجوى وهو الهوى الباطن. ثم التيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله أي عبد الله ومنه رجل متيم. ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى. ومنه رجل متبول. ثم التدليه وهو ذهاب العقل من الهوى ومنه رجل مدله. ثم الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم. [ix]هذه المراتب يذكر أيضا في تفسير روح المعاني لمحمود بن عبد الله الألوسي. [x]

الثاني: معاني الحب و ألامه عند الرافعي

أولا نبين معاني المختلفة للحب

يقول الرافعي: أن الحب من الأسرار الإنسانية و هو يظهر و يبين للإنسان المحب ما خفي منه و هذا عكس على الموت لأنه يخفي من الإنسان ما هو ظهر عليه و الموت هناك لا ينقله من الدنيا إلى الآخرة بل من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر.

"أكتب إليک و أنا في حال هي من شدة الوضوح قد صارت في شدة الغموض و أية حال تظنها؟ سيذهب بک الظن إلى الموت فهو أخفى ما ظهر من أسرار الإنسانية و لكن هناک موتاً لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة بل من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر--- وهو في أسرار الإنسانية عكس ذلک لأنه أظهر ما خفى و هو الحب"[xi]

و يتحدث في مقام أخر أن لنار الأخرة سبعة أبواب كلها يقذفون على الأرض جمرات فالباب الأول يقذف على الأرض الوهم و الباب الثاني يرمى عليها الخوف و الثالث يلقى عليها الطمع و الرابع يرسل عليها الحرص و الخامس يقذف الألم و السادس يرمى عليها البغض و أما الباب السابع يلقى الشيء الذي ماخوذ من الأشياء المذكورة سابقا و هو الحب يعنى الهموم الباقية كلها فيه.

إن لنار الآخرة سبعة أبواب و كأن كل باب منها ألقى جمرة على الأرض فباب ألقى الوهم و آخر قذف الخوف و ثالث رمى بالطمع و الرابع بالحرص و الخامس بالألم و السادس بالبغض أما السابع فرمى بالشر الذي يجمع هذه الستة كلها و هو الحب! [xii]

و يتحدث في "حديث القمر" أن الحب من ميراث بني آدم الذي يصله من حب أبوين الذين أعني أدم و حواء عليهما السلام و الميراث الثاني لبني آدم هو الدين القيم و هذان ميراثان أتيا من الجنة مع أبوي و الحب مأخوذ من جمال حواء و دموعها و الدين مأخوذ تقوى آدم و توبته.

الحب!إحدى كلمتين هما ميراث الإنسانية و هدية التاريخ و الطرفان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض.

كلمتان ليس لهما من المعاني غير الحقيقتين الخالدتين حقيقة الألوهية في الروح و حقيقة الإنسانية في القلب هما الدين و الحب خرجا من الجنة مع آدم و حواء فكان الدين في تقوى آدم و توبته و كان الحب في جمال حواء و دموعها. [xiii]

أزمنة الحب

يبين أوقات الحب و أزمنته:

و يتحدث بأن ساعات الحب من الضعف الإنساني بقوله:

"إن ساعة من ساعات هذا الضعف الإنساني الذي نسميه الحب تنشىء للقلب تاريخا طويلا من العذاب إن لم تكن آلامه هي لذاته بعينها فهي أسباب لذاته"[xiv]

يبين أن زمن من أزمنة الحب تنشىء لقلب المحبين وقتا طويلا من المصائب و هذا الوقت من الضعف الإنساني و تاريخ طويل من التكاليف و إن كانت تلك المصائب و التكاليف لهم لذات الحب بعينها-

هل للحب وقت من الساعات و الأيام و الشهور و السنين كما بذهاب الساعات يتم اليوم و بذهاب الأيام يتم الشهر و بذهاب الشهور يتم السنة يبين وقت الحب بقوله:

"سأكتب هذه الكلمات المرتعشة و سأبسط رعدة قلبي في ألفاظها و معانيها أكتب عن(---)ذلک الاسم الذي كان سنة كاملة من عمر هذا القلب على حين أن السعادة قد تكون لحظات من هذا العمر الذي لا يعد بالسنين و لكن بالعواطف"[xv]

يبتدئ الرسائل بالكلمات المرتعشة فيه رعدة قلبه مبسوط في صورة الألفاظ و المعاني ويذكر عمر القلب في الحب عمره سنة كاملة لكن لايعد هذا العمر بالسنين بل يعد بالعواطف.

مختلف أساليب و شروح للحب و داء الحب و الدواء له

"و كل هذه الأساليب شروح و تفاسير أما المعنى الذي تدور عليه فهو هذا: داء الحب نقداً و الدواء عند السين و سوف عند هذه الجميلة التي هي أكذب ما في الصدق عند محبها و أصدق ما في الكذب على محبها"[xvi]

يقول بعد ذكر مختلف الأساليب للحب يختتم الرسالة بالمعنى الذي تدور عليه الحب و يقول :

داء الحب نقداً و الدواء عند هذه الجميلة في زمن الحال و الاستقبال وهي عند محبها ما في الصدق أكذب و على محبها ما في الكذب أصدق.

حالة القلب المضطر في الحب و البغض

"فيا ويحک ألا تعلم أن مرجل الباخرة حين ينقلب ماؤه لهباً أبيض فوق اللهب الأحمر ينفث نفثة المارد الممدود بسلاسله في قاع الجحيم فيرمي بسهام من الذر المحرق لو كان في جهنم رهج يثور لماكان إلا دقاق ترابها أم تراک لم تدرک من رسالتي أني أسع من بغض من أحببت فوق ما يملأ ني و إن هذا البغض وجه آخر من الحب كالجرح ظاهره له ألم و باطنه له ألم"-[xvii]

يتحدث عن الحب والبغض و كيفية القلب فيهما بأن القلب له حالة كمرجل الباخرة عند انقلاب ماءه لهباً أبيض بعد اللهب الأحمر و يقول هذاالبغض وجه من وجوه الحب لا شيء آخر لكن هو كالجرح له ألم في ظاهره وباطنه و ألم الظاهر يجرح البدن و الجسم و ألم الباطن يضطرب القلب و الروح.

مصائب المحبين في الحب

"بيد أن مصائب المحبين إنما تأتي من انقلاب المصباح فيستطير حريقاً لا ضوءاً و ترى النار تعتلج في القلب و ذؤابتها تتلوى في الرأس و يصبح العاشق مرنحاً بما اعتراه من الوهن والضعف كأنه في جملته و فيما لبسه من الهم والسواد ما تراه من بقية بيت محروق"-[xviii]

ذكرت في العبارة المذكورة مصائب المحبين بأن حالتهم مثل بقية بيت الذي احترق بانقلاب المصباح الذى أوقد ناراً لاحراق بدن المحب و قلبه و لا ينور لضيائه و نوره و هذا النار موجود في قلبه و لهوبه ترتفع إلى الرأس و المحب ترتعش من الوهن و الضعف.

خطاب المحب بالقلب المسكين

"رضيت يا قلبي المسكين أن تجتمع من حطامي المتناثرة و أن تكون سوياً تاماً و أكون أنا الجسم الحيوانى أشلاء و بقايا فإني رأيت شر أهل الدنيا ذلک الذي هو أهنأ هم بمتاعها حتى كأنه فى شهواته و لذاته لم يجتمع إلا من حطام قلبه المتبدد الشهوات و اللذات تبنى عالماً و الآلام و الأحزان تبنى عالماً آخر و هما يتجاوران كما يلتصق حائط الليل بحائط النهار و أنت يا قلبي المتألم لا تشرف على العالم الأول إلا ما يشرف النظر العالى من البعيد البعيد لأنک طود باذخ رسخت جذوره فى العالم الثاني"[xix]

يقول لقلبه الحزين أنا أرضي عليک بأن تجتمع حطامي المنتشرة و أنت سوى تام و أنا مشغول في إشلال الجسم الحيواني و إبقائه و رأيت شرور و فتن أهل الدنيا التى تعطيهم مالا و منالا و الناس يتلذذون و يشتهون من حطام قلبه المتكسر.

و بعد ذلک يبين أن اللذات و الشهوات تبنى عالما

و تبنى الآلام و الأحزان عالما آخر

و هما عالمان مختلفان لكن متجاوران كما تجاور النهار بالليل

و أنت يا قلبي الحزين لا تنظر إلى العالم الأول و انظر إلى العالم الثاني لأنک جبل شامخ رسخت جذوره فيه.

هذا المبحث لبيان مصائب الحب و شدائده للتنبيه و التحريض للمحب الكاذب و الصادق و لأن هذا الحب ليس أمر سهل بل هو أمر مهم جدا فلا يليق للفصلي فيه إلا لذات

عين المحب وسيلة للمصائب

و لم أكد أراها حتى أخذني جمالها فإن لها عينين ركبتا تركيبا يجر المصائب على القلب تلهبان أشعة ضاحكة أو عابسة يخلق منها للقلوب حوادث و تواريخ و ترمى بنظرات تبرئ الصدور أو تمرضها و تبسم بوجهها كله نوعا من الابتسام يكاد يسيل من كل ناحية في وجهها قبلات أما افترار شفتيها فهو جمال على حدة يشبه نقل معاني الخمر من فم إلى فم. [xx]

يذكر في العبارة المنقولة أن جمال الحبيب أخذ المحب فالعينان تجران المصائب علي الفؤاد و تلقيان علي الأفئدة حادثات و تواريخ كقطرات المطر و تبرئان بنظراته الصدور أو تمرضان و جمال وجه الحبيب حسن علي حدة و هو يتبسم بنوع من الابتسام و القبلات يجرن من كل جهات في وجه الحبيب و الافترار من شفتيه مثل انتقال المعاني الخمرية فم إلى فم.

أقسام الأصدقاء

لا أريد بالصديق ذلك القرين الذي يصحبك كما يصحبك الشيطان لا خير لك إلا في معاداته و مخالفته و لا ذلك الرفيق الذي يتصنع لك و يماسحك متى كان فيك طعم العسل لأن فيه روح ذبابة و لا ذلك الحبيب الذي يكون لك في هم الحب كأنه وطن جديد و قد نفيت إليه نفي المبعدين و لا ذلك الصاحب الذي يكون كجلدة الوجه تحمر و تصفر لأن الصحة و المرض يتعاقبان عليها. [xxi]

يقول في العبارة المذكورة ذلك الحبيب ليس كمثل الصديق الصاحب مثل الشيطان في العداوة و المخالفة و ليس المراد به الرفيق المتصنع كمثل الذبابة تدور على العسل و ليس كمثل الحبيب هو الوطن الجديد لك في ألم الحب و ليس كمثل الصاحب

يكون جلدة وجهه تارة تحمر و تارة تصفر للصحة و المرض الواردة عليه.

أسباب المصائب و الآلام

فكل أولئك الأصدقاء لا تراهم أبدا إلا على أطراف مصائبك كأنهم هناك حدود تعرف بها من أين تبتدئ المصيبة لا من أين تبتدئ الصداقة و لكن الصديق هو الذي إذا حضر رأيت كيف تظهر لك نفسك لتتأمل فيها و إذا غاب أحسست أن جزءا منك ليس فيك فسائرك يحن إليه فإذا أصبح من ماضيك بعد أن كان من حاضرك و إذا تحول عنك ليصلك بغير المحدود كما وصلك بالمحدود و إذا مات يومئذ لا تقول إنه مات لك ميت بل مات فيك ميت ذلك هو الصديق. (xxii)

يبين في هذه العبارة هؤلاء الأصدقاء سبب لجميع مصائبك و الآلامك فلهذا هؤلاء الذين ليسوا من الأحباب الصادقة لك و الصديق الصادق لك هو الذي إذا جاء إليك فالنفس تتأمل فيها و إذا ذهب منك فالنفس أحسست أن جزءا منك ليس فيك ليس في هذا الوقت و إذا توفي ذلك الصديق مت أنت بموته و وفاته.

حب المرأة حب الصنم

المصائب و النساء من شقاء الشقي أن يبالغ فيهن فإن ما ينالك من خوف المصيبة ليس منها و لكنه منك و ما يذهلك من حب المرأة ليس فيها و لكنه فيك فأنت من ذلك كالذي ينحت صنما من الحجر ثم يصله بمكان الرغبة و الرهبة من نفسه فإذا القدرة كلها قد استفاضت عليه و إذا الحجر الذي لا يملك و لا حشرة من حشرات الأرض قد تملك رجلا بعقله و قلبه و حواسه و حيزه من الدنيا و إذا هذا الرجل يتعبد بحقيقته لخياله و بعقله لوهمه و بعلمه لجهله و بما يصدق فيه لما يكذب عليه و لا يبقى الحجر حجرا و لا يبقى الرجل رجلا. (xxiii)

يذكر في العبارة المنقولة أن المحب إذا أحب امرأة بحب نفسها فالمصائب جاءت من شقاوته و الخوف اللاحق من هذه المصائب ليس من هذه المرأة بل هذا الخوف في نفسه موجود بقيام الحب فيها و كذلك الذهول من حب المرأة ليس فيها و هو أيضا في نفسه و يمثل بعد ذلك هذا المحب بالرجل الذي صنع الصنم من الحجارة و جعله محبوبا و مرهوبا في نفسه و تعبده فالتعبد له لخياله الفاسد لا حقيقة العبودية فيه و لوهم الخاسر لا عقل له في العبادة و لجهل الكاسد لا علم له للمعبود الحقيقي له فالحجر يبقى الحجر أبدا و الرجل يبقى الرجل دائما.

أحوال المحبة و النفرة

و كذلك يصنع عاشق المرأة بالمرأة و هي عند نفسه كأنما نبت جسمها على صنم معبود يحسب فيها السماء و الجنة و ما فيها أكثر من امرأة و يكون منها في الحب و الرضا كحجر الألماس يلقي عليه الضوء لونا واحدا فيخرجه من قلبه ألوانا ذوات عدد في بريق و بصيص و في البغض و النفرة كالجسم المحترق تحوّل كله نارا من شرارة أو جمرة أو شعلة و هو في كلتا الحالتين يسر و يألم بمادته كلها لقليل طرأ عليه من مادتها هي فهي شيء واحد و لكنها بمادته تنقلب جمالا ملء عينه و فتنة ملء صدره و فكرا ملء عقله و كذا و كذا مع هن وهن وهنات. (xxiv)

بعد بيان حقيقة الحب بالمرأة يبين إحساساته في ذلك الحب هذا الرجل يحسب في حالة الحب و الرضا أن حبه كحجر الألماس يلقي عليه النور و الضوء لون الحب فقلبه يخرج ألوان مختلفة و يسر من ذلك الألوان و يحسب في حالة النفرة و البغض أن بغضه و نفرته يحترق جسمه و بدنه و يألم من الاحتراق فحب المرأة جعل له مادة حبه جمالا في عينيه و فتنة في صدره و فكرا في عقله و مع هن وهنات كثيرة.

ألم المحبة و ألم المصيبة

أترى يا عزيزي مصائب الدنيا نوعا من الحبيبات في بعض وجوه الشبه و اتحاد الغاية و مطابقة الحكمة؟ لك فلسفتك و لكني أرجو أن لا يكون أنا الموحية إليك بهذا المعنى الألم في الحب و الألم في المصائب كلاهما أسلوب إلهي رحيم على قدر ما هو عنيف يؤتي من القوة بمقدار ما يبتلي من الضعف و ينتهي إلى السعة في الروح كما يبتدئ بالضيق في الحاسة و ينشئ فينا مع النظرة المتألمة أو المتحزنة أو المتكسرة نظرات أخرى منها النظرة المفكرة و الشاعرة و المتحدثة في صمتها و استرسالها بأسرار عالية كانت معانيها من السمو الروحي لأن لغتها من الأوجاع و الأحزان! [xxv]

يقول في هذه العبارة المذكورة أن هذه المصائب نوع من أنواع الحبيبات من وجه و الألم في الحب و الألم في المصائب كلاهما أسلوب من أساليب الإلهية الرحيمة و إذا كان كذلك ينشئ في المحب مع النظرة المألمة أو المتحزنة أو المتكسرة النظرات الأخرى مثل النظرة التي فكرت و النظرة التي أنشدت و النظرة التي تحدثت بأسرار عالية في الكون و العالم من معاني السمو الروحي لأن لغة هذه المعاني وضعت من الآلام و الأحزان و هذه اللغة جعلت بعض الأفئدة السعيدة إناء للاحتفاظ الأسرار المنكشفة و الفلسفة الحقيقة و بذلك تصغر لدي المحب كل المصائب كما يذكر هذا في العبارة التالية:

بل تلك اللغة التي يوفق بعض القلوب السعيدة إلى الاحتفاظ بشيء منها على الكبر فتكون فيه ينبوعا للفلسفة الحقيقة يشرب منه الحب الظمآن و تستروح إليه الحياة المجهودة التي ما تكاد تتنفس و تبترد عنده الأحزان الملتهبة و تصغر لديه كل المصائب فتخرج عن طبيعتها إلى طبيعته حتى لا يستحيل بها دموعا حارة و هو في الإنسان بقية الري من ماء الجنة قبل أن يخرج منها ويوم كان لا يظمأ فيها ولا يضحى. [xxvi]

و بعد بيان هذه الحقيقة يبين الظفر بها بقوله:

أيتها الحقيقة لا يظفر بك إلا سعداء الفطرة و ما الطبيعة كلها إلا إيمان بك و دليل عليك فلو خلص الإنسان من وهمه لخلص من همه و لعرف كيف يقدر الحزن بسببه الحقيقي لا بالآمال المتوهمة التي زالت بوقوعه فإن تقدير المصيبة بالأمل الذي كان يرجى لو لم تقع أمر لا يحتمل حدا بل لا يزال يتسع من ظن إلى ظن حتى يهيج السخط في نفس الحزين و السخط مع المصيبة مصيبة ثانية. [xxvii]

يعنى أن الظفر لا يمكن بدون سعادة الفطرة و ليست الطبيعة بدون الإيمان بك الدليل عليك فلو اعتزل الإنسان من الأوهام لاعتزل من الهموم و لعلم كيف يقوي الأحزان بأسباب الحقيقية لا بالآمال المتوهمة فالمصائب المقدرة بالآمال التي كانت ترجى لو لم تكن هذه الآمال لا تظهر هذه المصائب و هذا الأمر يتسع دائما من ظن إلى ظن أخر و يقدر مع المصيبة الأولى المصيبة الثانية المقدرة من الظنون المتسعة من الآمال و يبين بعد ذلك أن هذه المصائب مثل عطاس الذي لحق الإنسان و راحه راحة و هذا العطاس من عثرة رأس الإنسان في تاريخ الإنسان:

و لو كان المقامر يحزن على مقدار ما أضاعه دون المقادير الوافرة التي قامر عليها و كان يرجو أن يفوز بها، لما عاد امرؤ قط إلى المقامرة بعد الخسارة الأولى و كذلك لو كان الإنسان يهتم للمصيبة على قدرها في نفسها لا بمقدارها في نفسه لذهب بها وقتها لأن الوقت يسير بكل شيء تدفعه فيه و لكانت هذه المصائب في تاريخ الإنسان كأنها عطاس يزعج قليلا ثم يعقب انتهاضا من عثرة الرأس و راحة. [xxviii]

آلام الموت

أما المصائب الإلهية فإن الله يرسلها برحمة فيستلب فيها من الإنسان إحساسه أو أكثره و يعطيه أسباب العزاء أو أكثرها و يهيئ له من أمره ما يجعله يتلقى المصيبة بروحها لا بروح النعمة التي أصيب فيها و بذلك لا يشعر أنه ضرب بيد الجبار و لكن بيد الرحيم و لا يكون إلا كالذي يغمض عينيه عند الوسنة ثم ينحدر إلى الأبدية و قد يتحطم في مهواتها و ما أحس من آلام الموت و نزعه أكثر من غمضة العين. (xxix)

يعنى أن المصائب الإلهية المرسلة من الله تعالى برحمة واسعة مستلبة من الإنسان إحساسه أو أكثر من إحساسه و معطية أسباب العزاء أو أكثرها و يشعر بها الإنسان أن المصائب الملتحقة به بروحها لا بروح النعمة التي لحقته فيها و بذلك لا يحس أنه مضروب بيد الجبار و لكن بيد الرحيم و المصائب الشديدة و آلام الموت لا تكون عليه أكثر من غموض العيون يبين هلاكة الناس الذين ينكرون الألوهية أو يشكونها و ينتحلون شيئا من الألوهية لتوثيق إلحادهم و ريبتهم إياهم بقوله:

ويح هؤلاء الناس ألا يرون المصائب و الآلام ترسل دفاقا على الأرض كماء المطر و هي مع ذلك لا تصيب من تصيبه إلا قطرة فقطرة كأنه مكتنف من رحمة الله بفضاء واسع يجعله كهذه الطيور التي ترسل عليها السماء من أقطارها و هي مع ذلك تلبث طافية على الهواء كأنها الأمواج التي يجيش بها البحر أبدا و لا تغرق و لو هي كانت في الأرض لأغرقتها بصقة من إناء مترع أو ليس في ذلك ما يردف الإنسان شغلا بنفسه الضعيفة مما يذهب إليه في إلحاده و ريبته إذ ينتحل شيئا من الألوهية لينكر الألوهية أو ليشك فيها؟(xxx)

كل من المصائب و الشدائد للحب تأتي لابتلاء المحب في حبه هل هو صادق أم كاذب؟

و الآلام الحب ليست آلام ظاهرة و أوجاع واضحة بل هن أسباب لوصول درجات العليا و مناصب الرفيعة التي لا يمكن الوصول إليها للمحب بدون هذه الآلام و المصائب و الشدائد.

و المعالجة لهذه الآلام في لقاء الحبيب الصادق يعنى رب الأرباب و حبيبه الكريم ﷺ.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 international license.

المصاروالمراجع

(1)أنظر لمزيد التفصيل حياة الرافعي لسعيد العريان ، مصطفي صادق الرافعي فارس تحت راية القرآن لرجب البيومي ، الرافعي الكاتب بين المحافظة و التجديد لمصطفي نعمان البدري ، الأعلام لخير الدين الزركلي

(2) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،**الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية**،(بيروت: دار العلم للملايين،1407ه)،ج1،ص105.

Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jaohari, **Al–Sihah Tajulugha w Sihahulrabia**, (Beirut: Dar Al-Ilm Lilmain, 1407/1978), vol. 01, p. 105.

(3)أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأفريقي،**لسان العرب**،(بيروت: دارصادر،1414ه)،ج1،ص289.

Abu Al-Fazal Jamaludeen Muhammad bin Mukkaram bin Ali Ibni Manzoor Al-Afriqi, **Lisanul Arab,** (Beirut: Dar Sadir, 1414), vol. 01, p. 289.

(4) أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني،**معجم مقاييس اللغة**،(بيروت: دار الفكر،1399ه/1979م)،ج2،ص26.

Abu Al-Husain Ahmad bin Faris Al-Qazvini, **Mujam Maqaisul Lugha,** (Beirut: Dar Al-Fikr, 1399/1979), vol. 02, p. 26.

(5) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري،**أساس البلاغة**،(بيروت: دار الكتب العلمية،1419ه)،ج1،ص163.

Abu Al-Qasim Mahmood bin Amar Al-Zamakhshri, **Asasul Balagha,** (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1419), vol. 01, p. 163.

(6) أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني،**شرح ديوان الحماسة**،(بيروت: دار الكتب العلمية،1424ه)،ص45.

Abu Ali Ahmad bin Muhammad bin Al-Hasan Al-Marqooqi Al-Asfhani, **Sharah Diwan Al-Hammasah,** (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1424/2003), p. 45.

(7) أبو الفيض محمّد بن محمّد الزَّبيدي،**تاج العروس من جواهر القاموس**،(بيروت: دار الهداية بدون سنة)،ج2،ص213.

Abu Al-Faiz Muhammad bin Muhammad Al-Zabaidi, **Tajul Aroos min Jawahir Al-Qamoos,** (Beirut: Dar Al-Hidaia,), vol. 02, p. 213.

(8) القاضي أبو يعلي عبد الباقي بن أبي الحصين عبد الله بن المحسن التنوخي،**القوافي**،(مصر: مكتبة الخانجي،1978م)،ص86.

Al-Qazi Abu Yaala Abdul Baqi bin Abi Al-Husain Al-Tanookhi, **Al-Qawafi,** (Eygpt: Maktabah Al-Khanji 1978), p. 86.

(9) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي،**فقه اللغة وسر العربية**،(بيروت: إحياء التراث العربي،1422ه)،ص129.

Abu Mansoor Abdul Malik bin Muhammad Al-Sailbi, **Fiqhul Lughah Wa Sirul Arabia,** (Beirut: Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1422), p. 129.

(10) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي،**روح المعاني**،(بيروت: دار الكتب العلمية،1415ه)،ج6،ص417.

Shihabudeen Mahmood bin Abdullah Al-Husaini Al-Aloosi, **Roohul Maini,** (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1415), vol. 06, p. 417.

(11) مصطفي صادق الرافعي،**رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب**،(مصر: مطبعة الهلال،1924م)،ص168.

Mustufa Sadiq Al-Rafi, **Rasailul Ahzan fi Falsafatil Jamal wal Hub,** (Eygpt: Matbah Al-Hilal, 1924), p. 168.

(12) مصطفي صادق الرافعي،**السحاب الأحمر**،(بيروت: دار الكتب العلمية،1982م)،ص95.

Mustufa Sadiq Al-Rafi, **Al-Sahab Al-Ahmar,** (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1982), p. 95.

(13)مصطفي صادق الرافعي،**حديث القمر**،(مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م)،ص78.

Mustufa Sadiq Al-Rafi, **Hadith Al-Qamar,** (Eygpt: Muassah Hindavia Litalim wal Saqafa, 2012), p. 78.

(14)الرافعي،**رسائل الأحزان في فلسفة الجمال و الحب**،ص178.

Al-Rafi **Rasailul Ahzan fi Falsafatil Jamal wal Hub** p. 178.

(15) المصدر السابق،ص24.

Ibid.

(16) المصدر السابق،ص49.

Ibid.

(17) المصدر السابق،ص39.

Ibid.

(18) المصدر السابق،ص46.

Ibid.

(19) المصدر السابق،ص121.

Ibid.

(20)الرافعي،**السحاب الأحمر**،ص40.

Al-Rafi **Al-Sahab Al-Ahmar** p. 40.

(21) المصدر السابق،ص83.

Ibid.

(22) المصدر السابق،ص83.

Ibid.

(23) المصدر السابق،ص93.

Ibid.

(24) المصدر السابق،ص94-93.

Ibid.

(25) مصطفي صادق الرافعي، **أوراق الورد**،(مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م)،ص76-75.

Mustufa Sadiq Al-Rafi, **Awraq Al-Ward**, (Eygpt: Muassah Hindavia Litalim wal Saqafa,

2012), p. 75-76.

(26)الرافعي **حديث القمر**،ص23.

Al-Rafi, **Hadith Al-Qamar**, p. 23.

(27) المصدر السابق،ص54.

Ibid.

(28) المصدر السابق،ص54.

Ibid.

(29) المصدر السابق،ص57.

Ibid.

(30) المصدر السابق،ص57.

Ibid.